(موضوع الخطبة: التحذير من إفشاء الأسرار)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه.

عباد الله:
فضل الله الإسلام على غيره من الأديان الباطلة، فلا يوجد دين أكمل ولا أحسن منه، اهتم بالفرد والمجتمع، و بالصغير والكبير، دين كامل لا نقص فيه، قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

جاء الإسلام واهتم بجمع الكلمة وعدم التفرق، ونبذ الكراهية والشحناء بين المسلمين، قال النبي ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد) متفق عليه.

ومن الأخلاق الحميدة والصفات الفاضلة التي جاء الإسلام بتعظيمها، هو كتم الأسرار، فالأسرار ودائع وأمانة يجب حفظها، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ قال ابن كثير رحمه الله: (فأمر الله عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة) تفسير ابن كثير.
وقد حث النبي ﷺ على حفظ السر وكتمانه، فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة) رواه الترمذي وحسنه الألباني، ومعنى قوله ﷺ (ثم التفت) أي: التفت الرجل الذي يتحدث قلقا من سماع أحد لما يحدث به، فكان الالتفات قائما مقام قوله: اكتم هذا عني.

وإفشاء السر فيه خيانة للأمانة وهتك للستر وضرر بصاحب السر وقد حرمه الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

وإذا اقترن مع كشف الأسرار نميمة فالذنب يكون أعظم، لقوله ﷺ: (لا يدخل الجنة نمام)متفق عليه.

وحفظ الأسرار خلق عظيم، لا يقدر عليه إلا أصحاب الأخلاق العالية، الذين يراقبون الله في أفعالهم، ويلتزمون حدوده، ويخافون عذابه.

وقد كان خير الخلق بعد الأنبياء، وهم الصحابة رضي الله عنهم على منزلة عالية من حفظ الأسرار، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: وما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحدا)رواه مسلم.
فهذا أنس رضي الله عنه كتم السر عن أمه، مع ما يعرفه من حق الوالدة في الإسلام، وفي هذا الحديث الأدب في عدم تتبع الأسرار، والحرص على عدم كشفها، فلما قال أنس رضي الله عنه لأمه (إنها سر)، قالت: (لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ).

وعن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه أنه قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس)رواه مسلم.

وإذا وجد حفظ الأسرار بين الناس، زادت المحبة والأخوة، وانطفأت نار النميمة والبغض، فلا يمكن للقلوب أن تتآلف إلا بحفظ الأسرار، ولا يمكن للجار أن يأمن جاره إذا ضيعت الأمانة وكشف السر وهتك الستر، فإن الجار يعلم من أسرار جاره ما لا يعلمه الأخ عن أخيه، فإذا تجاور الناس وليس بينهم هذا الخلق العظيم، وهو حفظ السر، زادت البغضاء، وكثرة الشحناء، وضيعت الحقوق التي أوجبها الله عليهم.

ولما توفي زوج حفصة بنت عمر رضي الله عنهم، قال عمر: (لقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئا فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك؟ قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت، إلا أني قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركه لقبلتها)رواه البخاري.

وليس مع كشف الأسرار و إظهار عيوب الناس، إلا الحسد والحقد، والبغض والكراهية، وحفظ السر من الأمانة، قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، والوفاء بالعهد نوع من الأمانة. بل ذكر النبي ﷺ أن من صفات المنافقين خيانة الأمانة، (وإذا أتمن خان)متفق عليه.
ولا يحفظ السر إلا أمين، وهو من علامات المروءة والنُبل، ومن حَفظ الأسرار زادت محبته عند الناس، وارتفعت درجته عند الله.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كن أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، فلما رآها رحب بها، فقال: مرحبا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أوعن يساره، ثم سارها فبكت بكاء شديدا، فلما رأى جزعها سارها ثانية فضحكت، قالت عائشة: فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرائر، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره)متفق عليه.

فهذه صور من حفظ الأسرار، في زمن الصحابة الأخيار، فأصبحت قلوبهم طاهرة، ولأمر الله طائعة، فاستحقوا ثناء الله عليهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

وضرب الله مثلا في كتابه العزيز فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ (وكانت خيانة امرأة لوط له، أنها كانت تدل قومها على ضيف لوط عليه السلام، وكان لوط يدخلهم سرا)تفسير الطبري.

ولما أخبر يوسف أباه يعقوب عليهما السلام بالرؤيا، قال له: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ فكتم يوسف عليه السلام السر، حتى أصبح عزيز مصر فقال: ﴿يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾، قال ابن كثير رحمه الله: (ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر)تفسير ابن كثير

فيجب حفظ السر، ويحرم البوح به، إلا إذا أذن صاحب السر بذلك، أو وجدت مصلحة راجحة، كما أخبر الصحابة رضي الله عنهم ببعض الأمور بعد وفاته ﷺ خوفا من كتمان العلم.

وإن من أعظم الخيانة وأقبح الأخلاق، هو إفشاء الأسرار الزوجية، ويتأكد الأمر خاصة فيما يتعلق بأمور الجماع، قال سبحانه: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾، فيجب على الزوج والزوجة حفظ أسرارهما، وكتم عيوبهما حتى وإن وقع الطلاق والفراق، فلا يجوز نشر السر وكشف العيب أبدا، إلا لمصلحة يعرفها أهل العلم، كأن يجلسان الزوجان عند القاضي ليتحاكما عنده، فيجوز لهما ذكر عيوبهما، أما أن تتكلم الزوجة عن زوجها وتكشف سره، و يتحدث الرجل عن زوجته وعيبها دون مصلحة، فهذا كله مما حرمه الله وهو داخل في الوعيد الشديد، قال النبي ﷺ: (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها)رواه مسلم.

وبعد أيها المسلم:
الوقاية خير من العلاج، واعلم أنك أكثر الناس حفظا لسرك وآمنهم عليه، واعلم أن صدرك هو المستودع، وقد جاء القرآن والسنة بذلك فقد كان النبي ﷺ إذا أراد غزوة ورى بغيرها، ولم يخبر أصحابه بوجهته، وقال الله سبحانه في قصة فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾
فاحذر أن تعطي سرك لأحد، قال ابن الجوزي رحمه الله: (إنما الرجل الحازم الذي لا يتعداه سره ولا يفشيه إلى أحد). وقال أيضا رحمه الله: (رُب سر أظهر فكان سبب الهلاك)صيد الخاطر.

وإذا احتاج المرء إلى استشارة فلا يستشر إلا أمينا، يردعه إيمانه عن إفشاء سره، ولا يستشر إلا ذا رأي سديد وعقل راجح، فإن لم يجد أمينا يستشيره، فليكتم سره في صدره، وليستعن بالله على قضاء حوائجه، وتفريج همه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيد المرسلين، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،
أما بعد:

إن كان سر العبد هو ذنب بينه وبين الله، فيتأكد عليه ستر نفسه، ويحرم عليه التحدث بالذنب عند أحد، لقوله ﷺ: (كل أمتي معافي إلا المجاهرين، وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله تعالى، فيقول: عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه)متفق عليه

فاحفظوا أسراركم، واعلموا أن السر ما دام في الصدر، ولم ينطق به اللسان فالعبد يملكه، وإن خرج السر من الصدر، ونطق به اللسان، فلا يملكه العبد، لذلك احرص على ألا تبوح بسرك أبدا، وإن كان لا بد، فابحث عمن يحفظه.

ومن ائتمنه الناس على أسرارهم فأفشاه، او أصابهم الضرر فهو داخل في وعيد الله مستحق لعذابه، قال النبي ﷺ: (كل المسلم على المسلم حرام ،دمه وماله وعرضه)متفق عليه.

عباد الله:

هل يوجد في الدنيا دين اهتم بتفاصيل حياة الناس، ومراعاة مشاعرهم، والحفاظ على ترابطهم، مثل دين الإسلام؟!!! ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد، وارضى اللهم عن الخلفاء الراشدين، والصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين،

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا،

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى.

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، اللهم فرج هم إخواننا في كل مكان، اللهم كلهم ناصرا ومعينا،

اللهم ارحم إخواننا في غزة، اللهم عليك بعدوك وعدوهم، اللهم شتت شملهم، وفرق جمعهم، وخالف في بين كلمتهم، اللهم احقن دماء المسلمين، واحفظ أعراضهم وأموالهم، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.